مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 11، عدد رقم: 02، جوان 2022، صص: 395- 408
تاريخ الاستلام(2021/10/15)تاريخ القبول(2022/05/13)تاريخ النشر (2022/06/30)

(الجندر) في أعمال آسيا جبار الروائية
مقاربة في ضوء أطروحة النقد النسوي حول الجنوسة

Gender in Assia Jabbar's Novelistic Works, an Approach in Light of the Feminist Criticism Thesis on Gendering

نجاة تيرس[1]، علي كبريت[2]

[1] جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، nadjet.tires@univ-tiaret.dz

[2] جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، kebrit14@yahoo.fr

ملخص:

تعد آسيا جبار؛ أكثر كاتبة جزائرية معاصرة وظفت الشخصيات النسائية في أعمالها الروائية والقصصية وخصصت مواضيعها حول المرأة هذا النوع والكائن البشري المضطهد والمغلوب على أمره من ـ منظورها ـ في المجتمع الجزائري خصوصا والمغاربي والمسلم على وجه العموم، محاولة تحريرها عبر تحطيم جدار الصمت والبوح بالكلام المسكوت عنه، ومن خلال بحثنا هذا سنحاول تتبع الجندر في بعض أعمال آسيا جبار وكيف وظفته في معظم رواياتها.

كلمات مفتاحية: آسيا جبار، المرأة الجزائرية، النوع، الشخصيات النسائية، الصمت.

Abstract:

Assia djebbar is considered as the most contemporary writer who has used female characters in her novels and stories, and dedicated her topics to woman. This kind of defeated and oppressed human being generally, in the Maghreb and Muslim society, especially in Algerien one, trying to save her by breaking down the wall of silent and speak the unspoken. This research, we will try to follow the gender in some Assia Djebbar's works and how she used it in most of her novels.

Keywords: Assia Djebbar, Algerian women, gender, female characters, silence.

المؤلف المرسل: نجاة تيرس، الإيميل: nadjet.tires@univ-tiaret.dz

1. مقدمة:

من المصطلحات الأكثر تداولا وشيوعا في النقد النسوي عموما الجندر" gender"، الذي توسع توظيفه في عصرنا وبشكل ملفت للنظر في الأجناس الأدبية، وبخاصة في الدراسات النسائية التي تناولت المفهوم على أساس التميز في البنيات الثقافية والاجتماعية والسياسية .

ماهيته؟ جذوره؟ خصوصيته، .. وكيف وظفته آسيا جبار في أعمالها الروائية والقصصية، وهل قصدت به النوع البشري (ذكر، أنثى) أم وظفته في إطار الجنس والطابوهات، هذا ما سنكشف عنه في ورقتنا البحثية بعرض بعض أعمالها الروائية والقصصية، وأراء بعض النقاد والكتاب حولها، وحول منجزاتها وكيف انتصرت لبنات جنسها من النساء، محاولة إنصاف هذا النوع البشري المقموع والمقهور -وفق منظورها -في بلدها الجزائر، قبل، وإبان، وبعد الثورة التحريرية وسائر بلدان العالم، خاصة المجتمعات المسلمة، وبالأخص المغاربي منه والمسلم.

فكيف كان توظيفها لهذا العنصر المهم في أدبها وفي ماكتبته من نقد نسوي عموما ؟ وهل كان توظيفا نمطيا كما تعودناه من الذين استخدموه قبلها، أم أدخلت عليه شيئا من التميز واللانمطية التي وجدناها في مختلف أعمالها ؟ أمر سنحاول إماطة اللثام عنه من خلال هذه الدراسة الموجزة .

2. ماهية النوع الاجتماعي:

ينقسم البشر إلى نوعين : إما ؛ذكر أو أنثى، ويحدد العرف والسلوك الاجتماعي نشاطاتهم وأدوارهم[1]؛ غير أنه تعالت الأصوات باسم الجمعية الدولية للدفاع عن حقوق الإنسان للشواذ جنسيا تطالب بحقوقهم وتقول بأن الشذوذ ليس انحرافا، ولكنه أمر طبيعي يتعلق بالجينات، وأطلقوا عليه "حق التكيف الجنسي" مطالبين بإثبات هذا الحق ضمن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

وانطلقت إثر ذلك موجة تدعو إلى "تحييد الجنس" أي لا يحدد مباشرة بعد ولادته بل ما تفرضه عليه الظروف وهذا ما أشارت إليه الباحثة" فوستس ستيرلنج" تقسيم الخلق إلى ذكور وإناث أصبح واقعا تجاوزه الزمن، ولم يعد يعبر بدقة عن حقيقة الواقع الإنساني.

كما أشارت إلى الأجناس التي أصبح الواقع يحفل بها إلى جانب الرجال والنساء.. المخنثون، والسحاقيات، واللواطيون.[2]

وقالت الباحثة "ديل أوليري" في كتاب لها بعنوان "تحييد الجنس تدمير للمرأة "إلى أن أصحاب دعوة "تحييد الجنس "انطلقوا من فكرة الصراع الطبقي التي فشلت فيها الماركسية حيث حصرتها في الزاوية الاقتصادية، وينبغي نقلها إلى منظومة الأسرة ...إنهن يردن إقامة مجتمع الجنس الواحد، وأضافت أن منظمات التطرف النسوي أعلنتها حربا شعواء ضد طبيعة المرأة، حيث

اعتبرن أن تقسيم الخلق إلى رجال ونساء، يجعل المرأة تعتمد على الرجل، الأمر الذي يؤدي إلى تبعيتها له، ومن ثم بدء مسلسل قهرها وانسحاقها[3].

فالاختلاف بين الجنسين، لا يعني أن قدرات المرأة أقل من قدرات الرجل أو العكس، إلا فيما يتعلق بتلك المرتبطة بالتكوين الجسماني لكل منهما، فالرجل في العموم أقوى عضليا من المرأة أما فيما يتعلق بالنواحي العاطفية فالمرأة بطبيعة الحال، الأكثر صبرا وتحملا (الحمل والولادة ...) ويتشاركون في أمور أخرى، فالرجال كما قالت أوسترايكر هم كذلك «...يتعرضون للمتاعب، ويشعرون بالإثارة ويساهمون في تكاثر النوع البشري، ويبحرون في خضم العواطف المتأثرة بإفرازات الغدد الهرمونية، إنهم يمرضون، ويشيخون ويذبلون إنهم باختصار ينحدرون من الطبيعة تماما كالنساء.»[4]

وبناء على كل هذه الطروحات والسجالات حول "الذكورة والأنوثة "، فإن مقالنا سيركز على الجندر فالنقد النسوي الجزائري المعاصر وكنموذج لتوظيف هذا المصطلح وقع اختيارنا على آسيا جبار كأهم ناقدة أكاديمية معاصرة في الجزائر كتبت باللغتين العربية والفرنسية، حيث سنطرح تساؤلنا اتجاه أعمالها من حيث توظيفها لهذا المصطلح، وهل هو نفس التوظيف العالمي أم له خصوصية ترتبط بالمجتمع الجزائري؟

قبل ذلك لابد من عودة كرونولوجية نتتبع فيها تاريخ هذه التسمية.

3. جذور النوع الاجتماعي(الجندر):

ظهر "الجندر" في ثمانينات القرن العشرين كمصطلح بارز استخدم في قاموس الحركات النسوية، عرف في أمريكا الشمالية ومن ثم أوروبا الغربية عام 1988. وماهية هذه المفردة كونها : « النوع الاجتماعي والتشكيل الثقافي للاختلافات بين الجنسين، وجنوسة واستجناس.»[5] اشتق من المفردة اللاتينيةgenus التي تعني النوع أو الأصل [6]

أما الدراسات الأولى التي ذكرتها أو أشارت إليها وحاولت تحديدها بالشرح والتفسير. فكان أولهم كتاب **كيت ميليت**(kate millett) السياسة الجنسية 1970 الذي يعتبر –المستوى من رسالتها للدكتوراه- من أوائل ما كتب في هذا المجال، كما تصرح بذلك **لويسا بوسادا كوبيسا** في مقالها المعنون بالفلسفة ونظريات النقد النسوي والاختلاف-:« أنها ربما تكون أول أطروحة تدور حول دراسة "النوع" كما أضافت معاني جديدة مأخوذة من اتجاهات علمية أخرى مثل (مصطلح السلطة الأبوية)المأخوذ من علم الأنثروبولوجيا، استخدمته للإشارة إلى مجتمع يسيطر عليه الرجل وهدفها القضاء على مبدأ السلطة الأبوية واتهام جميع الرجال حتى من اعتبرتهم حلفاء من جماعة اليساريين أنهم ينتهجون مسلك السلطة الأبوية. »[7] كما تمحورت كتاباتها حول إعادة النظر في الأعمال الأدبية لبعض المؤلفين المفضلين لدى حركة اليسار بأمريكا الشمالية التي أظهرت من

خلالها الهيمنة الذكورية الأبوية على هذه الأعمال وتبرز الصور الأنثوية في هذه الأعمال والتي كشفت عن وجود خبرات خاصة بالمرأة في الأدب. وبعد ظهور أفكار **ميليت** بدأ الاعتراف بوجود الأدب الذي يتمركز حول الأنثى والذي يتميز بخصائص جمالية وثيقة الصلة "بالنوع".

وتعرف منظمة "الصحة العالمية **الجندر gender**"بأنه المصطلح الذي يفيد استعماله وصف الخصائص التي يحملها الرجل والمرأة كصفات مركبة اجتماعية لا علاقة لها بالاختلافات العضوية ...وهو تعريف حسب عبد النور إدريس «يتبناه دعاة الجندرة الذين يقدمون المصطلح بمعنى تحرير المرأة وترقية دورها في التنمية، أي إدخال إصلاحات لزيادة مساهمة المرأة في العمل وزيادة دخلها ».[8]

وكان أول من صاغه عالم النفس **روبرت ستولر**.[9] (Robert stoller) وذلك ليفرق بين العوامل الاجتماعية والنفسية للأنوثة والذكورة في المجتمعات.

واستخدم هذا المصطلح أول مرة في اللغة العربية في مؤتمر القاهرة حول التنمية والسكان سنة 1994، واستعمل للمرة الثانية في مؤتمر بكين حول مناهضة العنف ضد المرأة سنة 1995، وقوبل بالرفض الشديد من قبل بعض التيارات المحافظة في العالم العربي، نظرا لما يحمله من شحنات ثقافية مناهضة تماما لقيم المجتمعات العربية.[10] كما يلحقون بالتعريف الفروقات بين الجنسين على أسس ثقافية واجتماعية وليس على أسس بيولوجية وفيزيولوجية وتختلف الترجمات من مكان الى آخر، فبعضهم يترجمه "بالنوع الاجتماعي" والبعض الآخر يرادفه لكلمة "الجنس "والغالبية تكتفي بالترجمة الحرفية للكلمة الانجليزية "الجندر"[11]. وفي دراستنا لهذا المصطلح سنتبنى ترجمة النوع الاجتماعي وكلمة " الجنوسة "و نتغاضى عن معنى كلمة "الجنس" التي ليست في صميم عملنا ولا نقصدها بأي حال من الأحوال. فكلمة "الجندر" ذات مدلول ثقافي وسياسي وتعني الأدوار والاختلافات التي تقررها المجتمعات بين الرجل والمرأة تختلف تماما عن معنى "الجنس" باعتباره معطى بيولوجي. وهو ما أشارت إليه **رجاء بن سلامة** في بحثها المعنون ب**إفراط الجندر**« أن البحث في الجندر يمكننا من تعويض الماهوية البيولوجية بالبنية الثقافية بحيث يتبين لنا أن الاختلاف بين الرجل والمرأة مبني ثقافيا وإيديولوجيا وليس حتمية بيولوجية».[12]

4. سمات الجندرة:

حددت الحركة النسوية سمات "الجندر"في مجمل السمات الثقافية والتي تعتقد بأن اختلاف الذكر والأنثى، هو اختلاف ثقافي يبني الفوارق على أساس اللغة والمعرفة.[13] وهو كما يرون ما يعطي الحق للإنسان في تغيير هويته الجنسية وأدواره المترتبة عليها، كما يعطي الحق في الاعتراف بالشذوذ الجنسي وإدراجه ضمن حقوق الشواذ من زواج المثليين وتكوين أسر غير نمطية"families steriotyped." والحصول على أبناء بالتبني أو الاستنساخ وهو ما يخالف نظامنا

السليم، وإعطاء المبررات للشواذ جنسيا ضمن حقوق الإنسان. وهو ما أقرت به رجاء بن سلامة في حديثها عن نوع إنساني واحد تقول: «ترتيب الفوارق وتنظيمها هو نظام البيان والحقيقة وتبادل المواقع هو نظام الحرية، ترتيب الفوارق يعني اختلاف المتعددين، وتبادل المواقع يعني اختلاف الواحد.»[14]

كل هذه المفاهيم والقيم الثقافية التي شحن بها مصطلح "الجندر" في الثقافة الأجنبية استلهمتها بعض الاتجاهات النقدية في النقد النسوي ضمن تيارات النقد الأدبي حيث ينتقل المنظور الخاص بالاختلاف الجنسي في بدايات النقد الأدبي النسوي من تقدير السلطة الأبوية والمركزية الذكورية لدى بعض الكتاب المرموقين في مجال الأدب إلى تحديد ملامح اختلاف بذاته في عمل أدبي تكتبه المرأة. وهو ما تصرح به علنا سعاد الصباح في مجلة الناقد، تقول: «أريد أن أكتب.. لأدافع عن كل شبر من أنوثتي ... لأتحرر من ألوف الدوائر والمربعات وأخرج من حزام التلوث .الذي سمم كل الأنهار، وكل الأفكار ...فالمدينة التي أسكنها .لا تطرب إلا لصياح الديكة وصهيل الخيول وشهيق ثيران المصارعة .. »[15].

ولنرصد بعض هذه المفاهيم والأفكار في النقد النسوي العربي، حيث سنأخذ أفكار الكاتبة آسيا جبار (1936-2015) من الجزائر أنموذجا لنتعرف على مدى تأثير تيار "الجندرية" على النقد النسوي في النقد الأدبي عند العرب وكيف استقبلت مفاهيمه وقضاياه.

5. الجندر(gender) عند آسيا جبار:

آسيا جبار من الروائيات البارزات المشدودات إلى تاريخ الجزائر المعاصر من خلال روايتها " le BLAN DE L'Algérie بياض الجزائر " إلى التاريخ الإسلامي من خلال روايتها "LOIN DE MEDIN بعيدا عن المدينة المنورة "ورغم كتاباتها باللغة الفرنسية إلا أن ضميرها وقلمها وإبداعها تعلق بالقضايا الجزائرية وجعلها تسلط الضوء في رواياتها على تفاصيل ونضالات المرأة الجزائرية بحلوها ومرها إذ يرى الأدباء والنقاد المتابعون لكتابات آسيا جبار أن نصوصها لا تخلو من الطابع الإنساني[16]، وتتسم كتاباتها، التي ترجمت أغلبها إلى عدة لغات منها العربية (فقط عمل واحد)، بالحداثة في الأسلوب والمضمون؛ على الرغم من تمسكها بالتقاليد العريقة للمجتمع الذي تنحدر منه، والتي تعرضها بأسلوب روائي فني خاص لكونها أستاذة في التاريخ .فغالبا ما تسلط الأضواء على التقاليد التي تتوارثها النساء وعلى الموروث الثقافي لبلدها الجزائر -دون أن تنتمي أعمالها إلى صنف الرواية التاريخية- وغالبا ما يطلق عليها الحقوقيون والكتاب الصوت الناطق باسم المرأة الضعيفة الخاضعة للقيود، وأيضا المتمردة الناعمة التي تحقق أهدافها عبر الكلمات التي تحملها صفحات رواياتها.

ووقع اختيارنا على **آسيا جبار** لمكانتها البارزة مغاربيا وعربيا كونها أول كاتب (ة) يدخل إلى «الأكاديمية الفرنسية» وثاني أفريقي (ة)، بعد الشاعر السينيغالي **ليوبول سنغور سيدار** (1906-2001) .[17]

فاطمة الزهراء إملحاين (اسمها الحقيقي) تركت العشرات من الأعمال الأدبية (في الرواية والقصة والشعر والإخراج السينمائي، إلى جانب الدراسات التاريخية)، بدءا بروايتها الأولى العطش (1957)، إلى آخر رواية لها لا مكان في بيت أبي (2007)، وقد ترجمت الكثير من أعمالها إلى عديد اللغات منها اللغة العربية. التي لم يترجم لها إلا المترجم الجزائري محمد إيحياتن (1953-2012) روايتها الأخيرة لا مكان في بيت أبي وهنا يستوقفنا سؤال ملح؛ عن سبب عزوف الأدباء والمترجمين سواء الجزائريين أو العرب عموما عن ترجمة أعمالها؟ لاسيما وأنها حظيت بالاحتفاء الفرنكفوني والدولي.[18]

«لاشك أن آسيا جبار أهم امرأة كاتبة في المغرب العربي»، هكذا قال عنها الكاتب والصحفي الجزائري **طاهر جاعوت**، وعن كفاحها ضد المجتمع الذكوري المهيمن. وقد استحقت بجدارة لقب سيدة "الأدب المغاربي الفرنكفوني" وقدوة لأجيال من الكاتبات في العالم العربي[19]. تقول آسيا: «الكتابة أرجعتني إلى صرخات النساء الثائرات في صمت، إلى أصلي الوحيد، الكتابة لا تقتل الصوت بل توقظه، وتوقظ على الخصوص أخوات عديدات تائهات ..»[20]. وتعتبر **آسيا جبار** الكاتبة الجزائرية الأكثر توظيفا للشخصيات النسائية بدءا بروايتها العطش 1957.إلى غاية آخر رواية لا مكان في دار أبي، تقول: «أنا لست رمزا. نشاطي الوحيد يتمثل في الكتابة. كل واحد من كتبي يمثل خطوة في سبيل فهم الهوية المغاربية ومحاولة للدخول في عالم الحداثة.»[21] وتصرح قائلة « على غرار كل الكتاب فأنا أستعمل ثقافتي وأجمع بين الكثير من أنواع المخيال».[22]

وقد لقي أدبها المتنوع اهتماما عالميا واسعا، خاصة مواضيعه حول تحرر المرأة، والحوار بين الثقافات، والتفاعل الديمقراطي المشترك في مجتمع متعدد الثقافات في الجزائر. وقد نعتها مايسة باي بكلمات تأبينية قالت فيها: «شكرا آسيا يجب أن تعلمي أنك ستبقين بالنسبة لنا إلى الأبد تلك التي دلتنا على الطريق إلى الكتابة. فليبق نضالك لنا اليوم أكثر من أي وقت مضى.»[23]

وعن **آسيا** كتبت **سوسن الأبطح** في صحيفة الشرق الأوسط: «عاشت المتمردة الناعمة الأديبة **آسيا جبار** تكتب عن التحرر دون أن تعتبر يوما، من أبناء وطنها، من الكتاب الثائرين الذين يثيرون ضجيجا، حسها الاعتدالي في تعبيرها بقي غالبا، فلم تكن من مثيري الشغب ولا طلاب النجومية السريعة المبنية على الانفعالية. أكاديميتها ربما قصت أجنحة الجنوح في سلوكها، مما أبقاها بعيدة عن السجالات الجزائرية الكبيرة والصاخبة. لكن برحيل **آسيا جبار** اليوم، لا شك أن كثيرين سيعيدون حساباتهم وهم يقرأون تلك الأديبة المتنوعة الشاملة، التي تكتب وكأنما تختلط

علها الأجناس الأدبية، فتأنس لذلك وتسعد وتطرب، وتترك لقارئها حرية أن يسافر معها على طريقتها، أو يتركها الى غيرها».[24] وهو ما اعترفت بها في قولها: «أكتب ضد الموت، أكتب ضد النسيان، أكتب على أمل أن أترك أثرا ما، ظلا، نقشا في الرمل المتحرك، في الرماد الذي يطير وفي الصحراء التي تصعد»[25]، فعلا فالكتابة حياة بعد الموت، وإصرار على البقاء في ذاكرة الآخرين ما داموا يقرأون... فرغم الاغتراب في بلد أوربي بارد (فرنسا) إلا أن دفء مصطلحاتها(الرمل، الرماد، الصحراء..) يجعلها تنغمس في جذور بلدها الأم (الجزائر)وعنها يقول محمد ساري: «من البداية موقعت نفسها في صف النساء المتحديات الطامحات إلى عالم جديد.»[26] وهذا التصنيف –أي المرأة المتحدية الطامحة –لا يتفرد به **محمد ساري** وحده بل يتشاركه مع كثير من النقاد والناقدات الذين رأوا في تصريحاتها الجريئة ومواقفها غير الاعتيادية طموحا إلى تغيير الوضع الاجتماعي والاقتصادي للمرأة وتحدي للوضع الراهن المليء بالقيود والعراقيل التي وضعها الرجل وحتى المرأة نفسها.[27]

أما **بوداود عميّر** فيصفها: «بالناطقة الرسمية باسم الصمت».[28]ربما لأن **آسيا جبار** تتحفظ كثيرا مما يعتبر من المسلمات التاريخية، وتحاول إقناع القارئ باحتمالات أخرى أكثر موضوعية وواقعية، ملقية بعض الأسئلة دون أن تجيب عنها تاركة القارئ يملأ بعض الفراغات ومساحات الصمت.

ففي روايتها "بعيدا عن المدينة (المنورة).**Loin de Médine**" تشكك **آسيا** في حقيقة الصورة التي رسمها بعض المؤرخين المسلمين للمرأة .وتعتبره مجرد تحامل عليها وتقزيم لدور المرأة وفي المقابل ترسيخ للمجد الذكوري وقد أوردت حقائق تاريخية كثيرا على سبيل المثال لا الحصر ملكة اليمن وفاطمة الزهراء -رضي الله عنها- التي لا يأتون على ذكرها إلا باعتبارها أما للحسن والحسين مغيبين شخصيتها ودورها الفعال في مساندة والدها وزوجها ومواقفها الشجاعة والذكية في عديد المرات.. وحادثتها مع أبي بكر الصديق حين قرر حرمانها من الميراث ورفضها لهذا القرار المجحف في حقها، وكيف رأته الكاتبة موقفا بطوليا يحفظ للنساء حقوقهن التي كفلها الإسلام. بعيدا عن التفسير والتأويل الذكوري كما وصفته...

وحادثة سجاح التي ادعت النبوة في عهد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، وتصويرها بالمنهزمة الخائفة وهي كما صورتها الروائية امرأة كاملة القوة والإرادة ..فاتنة، شاعرة فذة، فتن بها مسيلمة وخضع لها وتبرر ذلك أنه كان بإمكانه سبيها باعتبارها غنيمة حرب، لكنه تزوجها وأتاها خاضعا طالبا القرب ...فالروائية ترفض هذه الصورة الباهتة للمرأة وترى فيه ابتعادا عن الموضوعية وتشويها للتاريخ الحقيقي، خدمة لذهنيات تحاول إخفاء الوجه المشرق للمرأة ودورها الفعال في صناعة التاريخ. فهو من وجهة نظرها تاريخ موجه، ولن تأخذ به، لأنه يجانب الحقيقة

وبعيد عن الموضوعية وهذا كله بناء على قراءتها للتاريخ من منظور أيدولوجيتها الفكرية وقناعاتها الثقافية المتأثرة بالقيم الغربية.[29]

ونأتي لاعتراف **ميلود حكيم** الذي صرح في قوله أنها: «حرست لب الثقافة الجزائرية من التلاشي في ليل المنافي».[30] فكانت الحامية الثقافة الجزائرية من الانقراض والتلاشي وكانت –كما يصرح بذلك -صوتا يرسخ تقاليد النقد والمسائلة والاجتهاد، فقد كانت مفتونة بحفريات شغف الباحث في الأحداث ..، ويواصل توصيفه لها ..بأنها اختارت المنفى لكنها «بقيت مخلصة لعوالمها، ولبنية واقعية وكلاسيكية في الكتابة، وللحفر في التاريخ ومكرهة بروح المؤرخة الصبورة، والمناضلة النسوية المدركة لضرورة إعادة قراءة تاريخنا لإسماع أصوات من لا صوت لهم، خاصة النساء اللواتي رمين للصمت والنسيان، ولم يصغ لهن سواء في الماضي أو الحاضر..». بينما يقول **سعيد خطيبي** في حقها أنها: «أدارت ظهرها للانقلابيين على الآداب وواصلت الكتابة بقوة »ثم يردف مواصلا شهادته في حقها: «كثيرون فرحوا بوفاة أديبة الجزائر الأولى، كثيرون غنوا ورقصوا احتفاءا بنهاية الكابوس، وانزياح الهرم الذي كان يحجب عنهم الرؤية لقد ماتت»[31] كما يؤكد **حميد عبد القادر** نصرها بعد أن قرأ لها أعمالها الروائية، شعر بشجنها وحزنها العميق لأنها واجهت هجوما عنيفا من بعض المثقفين الجزائريين، وهم لم يقرأو–على حد قوله-حرفا واحدا :«انتصرت على دعاة الإحادية».[32]

وقد عبرت **آسيا** عن ذلك الألم الذي يعتصرها في حديث لها مع الروائي **واسيني الأعرج**. ويضيف **حميد عبد القادر** «شخصيا، كنت دائما أسأل عن الأسباب التي تقف وراء توقفها عن الكتابة الروائية بين (1967و1985) واهتديت للإجابة بعد أن قرأت كلمة الدكتور **أحمد طالب الإبراهيمي** التي نشرتها الصحف بعد رحيل الكاتبة بيومين، حيث اعتبر أن **آسيا جبار** انتقلت الى الكتابة الروائية النفسية الاستنباطية التي ميزت أعمالها الأولى منذ رواية "العطش "إلى الكتابة التاريخية لما نشرت رواية "الحب الفانتازيا "عام 1985، ...لجأت آسيا إلى السياق التاريخي لفهم الآني.. فقد قرأت تاريخ الإسلام (عبر الطبري بالأخص)لفهم دور المرأة في مسار التاريخ .لقد أعادت بفضل هذه الرواية للمرأة المسلمة مكانتها المسروقة على حد تعبيرها. » بتصرف ثم يضيف معلقا «ما يعجبني في **آسيا جبار**، هو هذا الاهتمام بالفضاء اللغوي المتعدد. وعليه أعتقد أن أعمالها الروائية تعتبر بمثابة رد صريح على حماقات دعاة الأحادية الذين انتصرت عليهم، وهزمتهم بعد أن احتضنا رواياتها، وأدمنا قراءاتها بنهم وإعجاب كبيرين .»[33]

رواية "بوابة الذكريات" تحكي عن نمو الوعي وتكونه، فيها تستعيد **آسيا جبار** بعضا من التفاصيل الدقيقة لتحولات جسدها من طفلة الى مراهقة، وشابة، إلى امرأة في أواسط العمر وكهلة ثم حكيمة على أبواب الشيخوخة. في هذه الرواية توغل في الأعماق إلى اللبيدو لتتذكر أمورا

حدثت معها في سن الطفولة المبكرة فتخبرنا عن قصة صعودها الدراجة لأول مرة وهي ابنة الرابعة أو الخامسة تقول «ظل عالقا في ذهني كحرقة، وهو بمثابة لوثة في صورة الأب المثالية، أخذت أشيدها رغما عني، لأنه غائب غيابا مبرما.. حيث رآها والدها تركب دراجة ابن جيرانهم لتتعلم سياقتها وناداها بصوت حاد، فتبعته بصمت .وفي المنزل صرخ بوجه أمها ..لا أريد أن تظهر ابنتي ساقيها وهي تركب الدراجة .فالجسد الأنثوي في الشرق، مشكلة اجتماعية حتى وهو غض في مرحلة الطفولة.»[34]

في عام 1980 عادت للكتابة لتنشر رواية جديدة بعنوان "نساء الجزائر في مخدعهن"، وتتحدث عن انعدام المساواة بين الرجل والمرأة في الجزائر والمرأة في الجزائر بعد الاستدمار، فقد حاربت السلطة الأبوية وأخفت اسمها الحقيقي فاطمة الزهرة إيملاين ونشرت باسم **آسيا جبار** خوفا من غضب والدها، هذا الخوف لم يزدها إلا تحديا وإصرارا وكتبت ما بين 1995 و2008 ثمان روايات جميعها تشترك في الموضوع الرئيس وهو انعدام المساواة بين الجنسين في الجزائر. ومن أشهر أقوالها حول والدها: «كان والدي يصبح من النبلاء عندما يتحدث بلغة والده، وكان يصبح من أدنى طبقات العمال عندما كان يتحدث الفرنسية».[35]

وفي رواية امرأة بلا قبر: التي صدرت بالفرنسية سنة 2002 تركز على دور المرأة البطولي إبان الثورة التحريرية إلى جانب الرجل ورغم الوضعية الاجتماعية المزرية التي كانت تعيشها آنذاك، شاركت في حرب التحرير وقد جعلت بطلة روايتها "زليخة يمينة عوادي" وهي مقاومة شرسة رفعت السلاح رغم التقاليد البالية التي حصرت المرأة في التمتع والإنجاب وخدمة الآخرين من الرجال، مهما اختلفت اعمارهم، ونساء أكبر منها سنا . وبالتالي تحظى بمكانة أفضل.

اختلطت بالمجاهدين رفقة زوجها فحاصرها الجيش الفرنسي بأعالي شرشال، عذبت وقتلت ودفنت في مكان مجهول لا أحد يعرف مكانه إلى اليوم أخفاها العسكر الفرنسي خجلا من جريمتهم النكراء[36]، وجاء في روايتها نساء الجزائر في مخدعهن وهي عبارة عن مجموعة قصصية تقيم علاقة حوارية مع الرسم لأنها استعارت عنوانها من لوحات **أوجين ديلاكروا** (1863-1798) Eugéne Delacroix * الذي أصيب بالانبهار بالمناظر الطبيعية ومشاهد الأهالي الخاضعين والنساء اللواتي حبسن في بيوتهن، خلال رحلة قادته الى المغرب ثم الجزائر سنة 1832 فجسدها في أعمال فنية منها، **نساء الجزائر في مخدعهن 1834**، فكانت مصدر إلهام **لأسيا جبار** التي حاولت أن تقيم حوارا مع اللوحة ونشرتها1980، وقد مزجت جيدا بين الفنين الاثنين، الكتابة والرسم.[37] فتتحدث عن فترتين في تاريخ الجزائر إبان الاستعمار وهنّ حبيسات في شققهن، وبعد الاستقلال وكيف تحركن تقول: «لا أرى غير ...البحث من أجل إعادة الحديث بين النساء، ذلك الحديث الذي عمل **ديلاكروا** على تجميده في اللوحة »(المرجع السابق) ففي رأي الكاتبة أن الرسام سحب الصوت

من النسوة واكتفى بتصوير الجسد، ولذا استعانت بالحلم وأساليب التعبير الخاصة بها (كالتشكيل، التكثيف، الانتقال، الترميز) لتحرك هذا العالم الأنثوي الصامت ولم تتردد في قولها :«هذا العالم من النساء، عندما لا يحدث ضوضاء من همسات من الحنان، من الشكاوي المفقودة، من رومانسية ساحرة غائبة يصبح هذا العالم فجأة، بائسا، عالما منطويا.»[38]

ويقع **بيكاسوpicasso** تحت تأثير لوحة **ديلاكروا** ويقرر تحرير النساء الحبيسات من خلال لوحة رسمها سنة 1955، عنونها بنساء الجزائر[39]، وعنها تقول آسيا:«...ذلك الذي جمده **ديلاكروا** في لوحته، ولا أمل غير في الباب المفتوح بكامله على الشمس، تلك الباب التي فرضها **بيكاسو** فيما بعد، تحرير ملموس ويومي للنسوة، حيث رقصت النساء وتحركت في لوحته بعدما حكم عليها **ديلاكروا** بالصمت في لوحته.»[40]

ويسعى عمل **آسيا** «إلى استكشاف الهوية الثقافية الجزائرية، من خلال إعادة بناء الذات الموضوعية للمرأة...والكشف عن قصصهن من وراء الأبواب المغلقة يعد عملا تحرريا، يكشف أسرارهن ويسمع أصواتهن التي كانت ساكنة سابقا.»[41] ونجد آسيا في روايتها بوابة الذكريات: التي صدرت عام 2007 تبوح بتجربة شخصية تغوص في أعماق الأنا لكل فتاة عربية ترغب في التحضر والتطلع على ثقافات جديدة، وفي نفس الوقت تحاول الحفاظ على هويتها الجزائرية المسلمة .

اختارت الروائية شخصيات من الواقع الجزائري الذي كانت تعيشه (صورة الأم، صورة المرأة المتحررة، صورة المرأة المثقفة، صورة المرأة الحبيبة ...) وكشفت عن مشاكل هذه المرأة في المجتمع الجزائري في ظل المحظور والممنوع والمكتوم، تعزف أوتار الصمت فيها رغبة والعاطفة والتوق إلى الحرية والبوح والاعتراف .[42] وهو طرح فيه كثير من الجرأة والشجاعة الأدبية مشفع بسرد تاريخي عميق، ينم عن معرفة وإلمام شديد بالتاريخ الجزائري والإسلامي والعربي على حد سواء ..وهذا ماجعل **آسيا جبار** تتميز على نظيراتها وحتى نظرائها من الروائيين الجزائريين الذين يكتبون باللسان الفرنسي والمشهود لهم حتى من الغربيين أنفسهم بالثقافة الفرنكوفونية الممتازة وفي الوقت نفسه الجهل الشديد لدينهم وثقافتهم الإسلامية وحتى العربية والأدهى والأمر تاريخهم الوطني .

4. خاتمة:

من خلال ما استعرضناه من بعض أعمال الكاتبة آسيا جبار تبين أنها تستعمل "الجندر" لتوضح "النوع "أو "الجنس" على أساس النوع البشري الذي يتكون من ذكر مسيطر ومهيمن على كل مناحي الحياة وفي الجانب الآخر أنثى مغلوبة على أمرها مضطهدة ومسلوبة الحقوق على اختلاف مستواها سواء، الاجتماعي أو التعليمي واتخذت مجتمعها الجزائري الذي ولدت وعاشت فيه زمنا ليس باليسير، نموذجا اقتبست منه القصص، والحكايات والحوادث التي عاشتها، أو

سمعت بها، أو قرأت عنها، مستعينة بالتراث والتاريخ الوطني والمغاربي خاصة، والإنساني عموما، مستعينة أيضا بسيرتها الذاتية، حيث نبشت في ذاكرتها الأولى في تجربتها الشخصية لتعبر عن غبن الفتاة الجزائرية والنظرة الدونية لها من أقرب الناس لها أبا كان، أو أخا، وحتى من أمها أو جدتها بحكم الأعراف والتقاليد البالية - في نظرها- وهذا ما أثبتته في أعمالها على حد سواء.

وفي الأخير؛ فإن كل ما دعت إليه الأديبة من قيم يبقى قراءة شخصية من موقعها الفكري والإيديولوجي للثقافة الجزائرية، المنبثقة من القيم الإسلامية والعربية، قد يوافقها البعض، ويعترض عليها البعض الآخر، لأن هناك قراءات ونقود أخرى لهذه القيم والأعراف والتقاليد، اتجاهات مغايرة لاتجاه آسيا جبار، وهذه الاتجاهات تتبنى المحافظة، وبعضها تنويري أيضا، ناقد لهذه القيم ولكن بمواقف وآراء تخالف آسيا جبار.

مراجع البحث وإحالاته:

1- ينظر عبد النور إدريس، النقد الجندري، تمثلات الجسد الأنثوي في الكتابة النسائية، دار فضاءت للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص86

2- المرجع نفسه، ص 87

3- المرجع السابق، ص 87

4- المرجع نفسه، ص91

5 - ينظر عبد النور ادريس، النقد الجندري، ص 80-81.

6- ينظر المرجع نفسه، ص93

7- المرجع نفسه، ص 81.

8- النقد الجندري، ص80.

9- جندر- ويكي الجندر < genderiyya.xyz<wiki

10- المرجع نفسه

11- عبد النور إدريس، النقد الجندري، ص82

12- عصمت محمد حوسو، الجندر، الأبعاد الاجتماعية والثقافية، ص47

13- ينظر المرجع نفسه ص82.

14- المرجع السابق ص 83.

15- المرجع السابق، ص84.

16- سماح بن عبادة-آسيا جبار ..المتمردة بالقلم والكلمة، صوت المرأة الجزائرية والعربية، المجلة الثقافية الجزائرية، 08-03-2019. thakafamag.com

17- بوداوود عمير، لماذا لم تترجم آسيا جبار الى العربية ؟، العربي الجديد، 07فبراير 2016 De alaraby.co.uk,proposé

18- المرجع نفسه

19 - مدني القصري، آسيا جبار :الكتابة أرجعتني الى صرخات النساء الثائرات في صمت ..إلى أصلي الوحيد، الغد DE alghad.com,prposé

20- المرجع نفسه

21- سماح بن عباد –دار العرب، تونس، 10 نوفمبر 2013

22- القنطرة، ae.quntara,de"2015

23- عبد السلام يخلف-بقلب هش /بلغة عامرة-جامعة قسنطية-يومية النصر 09فبراير 2015

24- سوسن الأبطح، رحيل الكاتبة الجزائرية آسيا جبار قبل أن تنال" نوبل"للآداب، 08فبراير 2015 صحيفة الشرق الأوسط –بيروت، لبنان

25- محمد ساري، النصر أون لاين، 2015

26- بوداود عمير، النصر أون لاين، 2015

27- آسيا جبار تعود إلى جبل شنوة، يومية النصر، 09-02-2015

28- بوداود عمير، النصر أون لاين، 09-05- 2015

29- بولفعة خليفة، الهوية والمرأة في أدب آسيا جبار تفكيك النسق وكسر المحظور، مجلة الأثر، 20 جوان 2014،

30 - ينظر مجلة الأثر، العدد 20، الهوية والمرأة –جوان 2014

31 - سعيد خطيبي، النصر أون لاين، 2015

32- عبد الحميد عبد القادر، حملت الأدب الجزائري الى العالمية وطرقت أبواب نوبل، النصر أون لاين 2015

33- سعدمحمد رحيم، لغة مهموسة وقليل من الحياء الشرقي –وثائقي العرب

34- مالا تعرفه عن آسيا جبار، arageek.com (اكتبي التاريخ والتوقيت في المقال وضعي الرابط كاملا)

35- ينظر سليم بتقة، حوارية النص والصورة، آسيا جبار قارئة لدولاكروا (نساء الجزائر في مخدعهن)، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب العربي، العدد 10، ص87-97

36- ينظر المرجع نفسه

37-ينظر سليم بتقة، ص87-97

38- إيمان كوزو، القراءة الأنثوية مابعد الإستعمار الى رواية آسيا جبار "نساء الجزائر في شقتهن "و"أدين كل شيء من أجل النسيان"لمليكة مقدم، www.boundary2.org

39-المرجع السابق

40 - المرجع السابق

41- ينظر مقال: آسيا جبار تهود الى جبل شنوة، يومبة النصر، 09شباط -2015 annasronline.com

42- ينظر فاطمة الزهراء حبيب، ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، رسالة ما

جستير، 2015، جامعة وهران 1-أحمد بن بلة -معهد الترجمة.

قائمة مراجع البحث:

- ✓ آسيا جبار تعود الى جبل شنوة، يومية النصر، 09-02-2015
- ✓ آسيا جبار تهود إلى جبل شنوة، يومبة النصر، 09شباط -2015 annasronline.com
- ✓ آسيا جبار، يومية النصر، 9 فيفري 2015
- ✓ إيمان كوزو، القراءة الأنثوية ما بعد الإستعمار إلى رواية آسيا جبار "نساء الجزائر في شقتهن "و"أدين كل شيء من أجل النسيان "لمليكة مقدم، www.boundary2.org
- ✓ بوداود عمير، النصر أون لاين، 09-05- 2015
- ✓ بوداوود عمير، لماذا لم تترجم آسيا جبار الى العربية ؟، العربي الجديد، 07فبراير 2016
- ✓ بولفعة خليفة، الهوية والمرأة في أدب آسيا جبار تفكيك النسق وكسر المحظور، مجلة الأثر، 20 جوان 2014،
- ✓ سعاد الصباح-العدد 24، يونيو 1990، مجلة الناقد.
- ✓ سعد محمد رحيم، لغة مهموسة وقليل من الحياء الشرقي –وثائقي العرب.
- ✓ سعيد خطيبي، النصر أون لاين، 2015
- ✓ سليم بتقة، حوارية النص والصورة، آسيا جبار قارئة لدولاكروا (نساء الجزائر في مخدعهن)، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب العربي، العدد 10.
- ✓ سماح بن عباد –دار العرب، تونس، 10 نوفمبر 2013
- ✓ سوسن الأبطح، رحيل الكاتبة الجزائرية آسيا جبار قبل أن تنال" نوبل"للآداب، 08فبراير 2015 صحيفة الشرق الأوسط –بيروت، لبنان
- ✓ عبد الحميد عبد القادر، حملت الأدب الجزائري الى العالمية وطرقت أبواب نوبل، النصر أون لاين 2015
- ✓ عبد السلام يخلف-بقلب هش /بلغة عامرة-جامعة قسنطية-يومية النصر 09فبراير 2015
- ✓ عبد النور إدريس، النقد الجندري، تمثلات الجسد الأنثوي في الكتابة النسائية، دار فضاءت للنشر والتوزيع، ط1، 2013 .
- ✓ عصمت محمد حوسو، الجندر، الأبعاد الاجتماعية والثقافية.

✓ فاطمة الزهراء حبيب، ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، رسالة ماجستير، 2015، جامعة وهران 1-أحمد بن بلة -معهد الترجمة.

✓ مجلة الأثر، العدد 20، الهوية والمرأة –جوان 2014

✓ محمد ساري، النصر أون لاين، 2015.

✓ مدني القصري، آسيا جبار: الكتابة أرجعتني الى صرخات النساء الثائرات في صمت.. إلى أصلي الوحيد، الغد DE alghad.com,prposé عمان